جامعة المنصورة
كليـة الآداب

تمثيلات الذنب والسيئة في القرآن الكريم عند اللغويين والمفسّرين

إعـــداد

أ.م.د/ نهلة عبد العزيز الشقران
أستاذة اللغة والنحو المساعدة
كلية الآداب – قسم اللغة العربية
الجامعة الهاشمية – الأردن

أ.م.د/ خالد فهاد العظامات
أستاذ اللغة والنحو المساعد
كلية الآداب – قسم اللغة العربية
الجامعة الهاشمية – الأردن

مجـلة كلـــية الآداب – جامعـــة المنصـــورة
العدد السادس والستون – يناير ٢٠٢٠

تمثيلات الذنب والسيئة
في القرآن الكريم عند اللغويين والمفسّرين

د. نهلة عبد العزيز الشقران

د. خالد فهاد العظامات

ملخص البحث:

ورد استعمال مفردتي: الذنب والسيئة، في القرآن الكريم في مواضع مختلفة، ولم يكن المعنى المعجمي واحدا لكليهما، فالمصطلح المعجمي يتخذ في القرآن دلالته الخاصة، ويبدو الأمر جليا بحصر ورود المفردتين، بغية تحديد المعجمية الخاصة التي وردت في السياق القرآني لهما، من هنا تهدف هذه الدراسة إلى التفريق بين لفظتي: الذنب والسيئة في القرآن الكريم، وذلك بعرض الآيات القرآنية التي اشتملت على اللفظتين، ثم دراستها لغويا ودلاليا، من أجل بيان الفروق بينهما في الاستعمال القرآني، ثم عمدت الدراسة إلى تفسير علاقة المفردتين بالسياقات الخاصة في الآيات كافّة، وذلك لربطهما بمصطلح قرآني يظهر واقعه الدلالي، من حيث مفهومه وخصائصه المكونة له.

الكلمات المفتاحية: *قرآن كريم، ذنب، سيئة، دلالة، لغة، تفسير*

Abstract

Qur'an in different places, and the denotative meaning of the two terms was not the same. This will be clarified by listing the two terms in the Holy Qur'an in order to determine their denotative meaning. Accordingly, this study aims at differentiating between the terms: "sin" and "bad" in the Holy Qur'an by displaying the Qur'anic verses that include the two words, and by discussing them linguistically and semantically in order to show the differences between them in the Qur'anic usage. The study then explaines the two terms' relationship with the special context in all verses to show their semantic meaning and their constituent characteristics.

Key Words: The Holy Qur'an, sin, bad, meaning, language, interpretation..

المقدمة :

تكثر الدراسات اللغوية في القرآن الكريم في ميادين لغوية مختلفة، ومنها ما يخصص في دراسة البنية المعجمية والدلالية، فلا سبيل إلى فقه إعجازها اللغوي دون الإشارة إلى الدلالات المنبثقة منها، فلكل خطاب في القرآن الكريم أسلوبه الخاص، تتفرد أبنيته اللغوية مستقلّة بما تحمله من دلالات عن غيرها على مستوى الجملة القرآنية الواحدة، قبل أن يكون هذا على مستوى السورة كاملة، فلا تحمل المفردة الدالّة دلالة محددة، في تركيب لغوي يحمل في سياقه الأغراض البلاغية، فيتضافر المعنى المعجمي والتركيب الدلالي في انسجام لغوي بديع.

عمدت إلى دراسة ثنائية الذنب والسيئة في القرآن الكريم، وذلك بعرض الآيات القرآنية التي ذكرتهما، ثم تحليلهما لغويًّا، وقد اكتفيت بدراسة اللفظتين في حالة الاسمية، لأن هدف الدراسة التفريق الدلالي بينهما، وليست الدراسة تركيبية، وقد اعتمدت في هذا على معاجم اللغة وكتب التفسير، كي أبين الفرق بين المفردتين في المعنى والدلالة، وصور التركيب الاستعمالي لهما كما ورد في القرآن الكريم.

ولإنجاح سير الدراسة قسمت البحث إلى مبحثين، خصصت المبحث الأول لدراسة الدلالة (ذنب) عند اللغويين والمفسرين، في حين جاء المبحث الثاني ليبين دلالة (سيئة) عند اللغويين

والمفسرين إذ عرضت للمعنى المعجمي للمفردتين: الذنب والسيئة، وإحصاء استعمالهما في حالتي: الإفراد والجمع، وفي حالتي: التعريف والتنكير، وتحليل ذلك لغوياً، وعرضت في الخاتمة أهم نتائج علاقة المفردتين بسياقاتهما، للتفريق بينهما في الاستعمال اللغوي والدلالي.

اتبع في البحث المنهج الوصفي التحليلي؛ إذ عرض المعنى اللغوي من كتب المعاجم، ثم رأي المفسرين في ربط المعنى اللغوي مع سياق الآيات، للوصول إلى تحليل المعاني ومناقشة الآراء بالاستناد إلى كتب اللغة والتفسير.

والله الموفق العلي القدير

المبحث الأول: دلالة (ذنب) عند اللغويين والمفسّرين

ذَنْب:

عرف الخليل الذنب بقوله: "والذَّنب: الإثْم والمعصية، والجمع الذُّنوب"[١]، وذُنوبات جمع الجمع[٢]، يقال أَذنب يذنب. والاسم الذّنب، وهو مُذْنبٌ، وعدّ الجوهري الذنب جرماً [٣]، ويراه الأخفش جناية وجريمة،"وأذنب العبد واستغفر الله تعالى من الذنوب. وتذنب على فلان: مثل تجنى وتجرم"[٤]، وجاء في معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري: "يسمى الذنب ذنبا لما يتبعه من الذم، وأصل الكلمة على قولهم الاتباع، ومنه قيل ذنب الدابة لأنه كالتابع لها، والذنوب الدلو التي لها ذنب، ويجوز أن يقال إن الذنب يفيد أنه الرذل من الفعل الدنيء، وسمي الذنب ذنبا لأنه أرذل ما في صاحبه وعلى هذا استعماله في الطفل حقيقة"[٥].

ويقترب معنى الذنب من الإثم والمعصية، وفي المعاني الثلاثة إشارة إلى تحول النفس الإنسانية عن مسارها الذي ارتضاه لها الشرع، ومخالفتها الفطرة التي تستوجب الاستعلاء، ويكون هذا التدني في (ذَنب) متّفقاً مع معنى (ذَنب) بفتح النون، كما رأى أبو هلال العسكري، ففيهما من الاتفاق في الاتباع والتدني، ويفرق بين الذنب والمعصية بقوله: "قولك معصية ينبئ عن كونها منهياً عنها، والذنب ينبئ عن استحقاق العقاب عند المتكلمين، وهو على القول الآخر فعل

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، باب الذال والنون والباء؛ الأزهري، تهذيب اللغة، باب (ذ ن ب)

(٢) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، باب الذال والنون والباء،

(٣) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، باب (ذنب).

(٤) الزمخشري، أساس البلاغة، محمود بن عمرو بن أحمد، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م، (ذنب).

(٥) العسكري، معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٢هـ، ص٢٤٥.

رديء"[٦]، وبين الذنب والإثم يقول: "ويجوز أن يقال: الإثم هو القبيح الذي عليه تبعة، والذنب هو القبيح من الفعل، ولا يفيد معنى التبعة، ولهذا قيل للصبي قد أذنب ولم نقل قد أثم"[٧]، لذلك سميت الخمر إثما لأنها تقصر بشاربها لذهابها بعقله[٨]، وما يتبع هذا من آثار ذهاب العقل على العمل والتصرفات.

وجاء في المعجم الاشتقاقي في بيان معنى (ذنب):"فهو يؤخذ من دلالة التركيب على التأخر والتخلّف وهبوط الرتبة (السفول) -كما في موقع الذيل"[٩]، أما في الحديث عن ذنوب الأنبياء فهو يقول:" هي الكمالات التي يترقى منها إلى كمالات أعلى، فتسميتها ذنوباً إنما هي بالنسبة لمقامه لا أنها كذنوبنا، أي من باب: حسنات الأبرار سيئات المقربين"[١٠].

تشير الذنوب إلى الآثام التي يفعلها الإنسان، وقد لا يعلمها أحد سواه، وقد تكون كبيرة أو صغيرة وفقا لشرع الله الذي أوضحه في كتابه، وعلّمه رسوله الكريم، وكل إنسان لا بد يذنب، فليست البشرية بمعصومة من الذنوب، ولا حتى الأنبياء،

(٦) العسكري، المصدر السابق، ص٥٠٣.

(٧) نفسه، ص٢٤٤.

(٨) نفسه، ص١٦

(٩) جبل، محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل، 728/٢.

(١٠) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

وفيما يأتي التقسيمات الخاصة بالذنب كما وردت في القرآن الكريم:

- **ذنوب الأمم السابقة**

يأتي استعمال (ذنب) مجموعة في قوله تعالى ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[١١] دالاً على ما فعلته الأمم السابقة من تكذيب للأنبياء، ومعنى العمل الذي دأبوا فيه: أي داوموا عليه وواظبوا، لذلك ذكر القرآن آل فرعون، ومن كذّب بحجج الله ورسله من الأمم الخالية قبلهم: قوم نوح وقوم هود وقوم لوط وأمثالهم، وشبه بكفرهم كفر اليهود[١٢]، ومشركي قريش[١٣]، ويبين الطبري معنى قوله تعالى﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ فأخذهم الله بذنوبهم" بقوله: "فأخذناهم بذنوبهم فأهلكناهم حين كذّبوا بآياتنا، فلم تغنِ عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً حين جاءهم بأسنا"[١٤]، ويفسرها السمرقندي بقوله: "أي: عاقبهم الله"[١٥]، فعلى الرغم مما

(١١) آل عمران، ١١؛ ووردت: "فأخذهم الله بذنوبهم" كذلك في الأنفال، ٥٢، وفي غافر، ٢١. ينظر جدول الآيات.

(١٢) انظر الفراء، معاني القرآن، ١/ ١٩١.

(١٣) انظر الطبري، جامع البيان، ١٣/ ١٨.

(١٤) الطبري، ٦/ ٢٢٣.

(١٥) السمرقندي، بحر العلوم، ٣/ ٢٠٢؛ ويقول القشيري عن طلبهم للمغفرة وهم لم يذنبوا: "تطقوا بلسان الاستغفار، ووقفوا في موقف الاستحياء" القشيري، لطائف الإشارات، ١/ ٢٨٣.

عرفت به الأمم السابقة من قوة، غير أن هذا لم ينفعهم، فلم يغير بطشهم أمر الله حين جاء، فأخذهم بما اكتسبوا من الآثام، فبينت الآية ذنب التكذيب بالله، وما يتلو هذا الذنب من ذنوب عدة، فتشير الدأب إلى العادة وتكرار الحدث، بسبب أنهم سلكوا سبيلهم في الشرك، وكذّبوا برسله مثلهم، ثم توالت الذنوب.

جاءت لفظة (ذنب) مفردة مضافة إلى ضمير الغيبة، في قوله تعالى:﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ﴾[١٦]، بعد الحدث (أخذ) وحرف (الباء) ودلالتهما على وقوع جزاء الله بسبب الذنوب، وجاء الإفراد هنا، مناسبا للتقسيم في دلالة حرف الجر (من)، في إشارة الآية إلى تغاير طرق الإهلاك، فذكر الله ذنوب الأمم السابقة، كقوم لوط وإهلاكهم بالريح التي تحمل الحصباء، وقوم ثمود وإهلاكهم بالصيحة، وخسف الأرض بقارون وأصحابه، وإغراق قوم نوح، وفرعون وقومه[١٧]، فلكل قوم منهم ذنب خاص بهم، استحقوا عليه العقوبة، ويرى في هذا النسفي[١٨] ردا على من يجوز العقوبة بغير ذنب، إذ جاءت عقوبتهم وفقا لذنبهم في الكفر وعدم تصديق الرسل. وترد (ذنب) كذلك في الحديث عن قوم ثمود، حين كذّبوه فيما حذّرهم منه، في قوله تعالى: ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ ﴾[١٩]، ويفسرها الزمخشري بقوله: "فدمدم عليهم فأطلق عليهم العذاب، وهو من تكرير قولهم: ناقة مدمومة"[٢٠]، فحذّرهم نبي الله نزول العذاب إن عقروا الناقة، وأنذرهم بعاقبة الذنب، لكنهم لم يعتبروا.

في حين ورود اللفظة مجموعة مع حدث الإهلاك، في قوله تعالى: ﴿ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ﴾[٢١]، إذ لم تلجأ الآية للتقسيم، واكتفت بالإشارة إلى الذنوب. ويرى الطبري أن في الخبر معنى القول، ومعناه: قل، يا محمد، لهؤلاء القوم الذين كذّبوا بالحق لما جاءهم: ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكّناهم في الأرض ما لم نمكّن لكم [٢٢]، ويرجح ابن عطية [٢٣] على معنى القول

(١٦) العنكبوت، ٤٠.

(١٧) ينظر البغوي، معالم التنزيل، ٦/ 242 .

(١٨) النسفي، مدارك التنزيل، ٢/ ٦٧٦؛ وينظر البيضاوي، أنوار التنزيل، "أخذنا بذنبه عاقبناه بذنبه"، ٤/ ١٩٥.

(١٩) الشمس، ١٤.

(٢٠) الزمخشري، الكشاف، ٤/ ٧٦١.

(٢١) وردت: "فأهلكناهم بذنوبهم" في الأنعام، ٦؛ وفي الأنفال، ٥٤.

(٢٢) الطبري، جامع البيان، ١١/ ٢٦٤.

أن المخاطبة في (لكم) هي للمؤمنين ولجميع المعاصرين لهم، فكأنه قال: ما لم نمكّن يا أهل العصر لكم.

ويخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي، مقترنا مع دلالة الحدث (أهلك) أيضا، حين ذكر القرآن تجبر قارون، في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةً وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾(٢٤)، فعاقبه الله على كفره وتكبره، حين تجاهل حقيقة الهلاك، وهي بادية فيمن قبله.

وللزمخشري رأي في المسألة استنادا إلى دلالة: "إنما أوتيته على علم عندي"، فيقول: "يجوز أن يكون إثباتا لعلمه بأنّ الله قد أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه وأغنى، لأنه قد قرأه في التوراة، وأخبر به موسى، وسمعه من حفاظ التواريخ والأيام، كأنه قيل أَولَم يعلَم في جملة ما عنده من العلم هذا، حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته. ويجوز أن يكون نفيا لعلمه بذلك"، وفي الحالتين هو من ظلم نفسه لعدم تفكّره بما حل بالأمم الخالية، كما عرف بها القرطبي القرون، بقوله: "من القرون: أي الأمم الخالية الكافرة"(٢٥).

إذن، سبق اللفظة (ذنب) مفردة ومجموعة حدث دال على الهلاك، مثل: (أخذ، أهلك)، فتتضافر الدلالتان: الجمع والحدث في بيان العمل وعاقبته، ابتداء بالعاقبة المتمثّلة بالحدث، ثم العمل الذي أدّى إلى نتيجته وهو الذنب، فيفهم أنّ العمل تعدد وتكرر، فلم يقف عند ذنب واحد، وإن كان جوهرياً، بل تعدّى إلى ذنوب أخرى تتبع ما قبلها من تجاوز، كدأب قوم فرعون وصنيعهم، فيذكّر الله مشركي قريش بعاقبة من قبلهم، فهلكت بعض الأمم السابقة بالرَّجفة، وبعضها بالصيحة، وغير ذلك من أنواع العذاب، وتبدو أهمية هذا التذكير في أمرين: الأمر الأول هو التكرار كتكرار (دأب) في سورة الأنفال مرة ثانية قبل (أهلك)(٢٦)، للتأكيد على نتيجة كفران النعم، واستحقاق العقوبة لمشركي قريش، لأنهم شابهوا الأمم السابقة، فظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي. والأمر الثاني في دلالة الاستفهام البلاغية، ودلالة الالتفات من ضمير الغيبة في بداية الآية: "ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن"، إلى ضمير الخطاب الذي يأتي بعده مباشرة: "مكَّنّاهم فِي الأرْضِ ما لَم نُمَكِّن لكم"، فيلفت النظر لعاقبة الذنوب كذلك، ويستهجن منهم عدم اتعاظهم بمن جاء بعدهم.

---

(٢٣) ابن عطية، المحرر الوجيز، ٢/ ٢٦٩.

(٢٤) القصص، ٧٨.

(٢٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٣/ ٣١٦.

(٢٦) المرة الأولى قبل (أخذ)، الأنفال، ٥٤.

وفـي صـورة مغـايرة تمامـا للأمـم السـابقة يـأتي الحـديث عـن فئـة صـبروا علـى قتـل نبـيهم[٢٧]، وجاهدوا عدوهم، ثم دعوا الله أن يغفر لهم ذنوبهم مهمـا صـغرت، كمـا فـي قولـه تعـالى:﴿ وَمَاكَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾[٢٨]، فيقـول الطبري: "إنما هذا تأنيب من الله عز وجل عباده الذين فرُّوا عن العدو يوم أحد وتركوا قتالهم، وتأديب لهم. يقول: الله عز وجل: هلّا فعلتم إذ قيل لكم: "قُتل نبيكم" – كما فعل هؤلاء الربيون، الذين كانوا قبلكم من أتباع الأنبياء إذ قتلت أنبياؤهم"[٢٩]، فلو فعلتم مثلهم، لجاءكم نصر الله كما جاءهم، فالذنوب المقصودة هنا كما يراها هي الصغائر[٣٠]، على عكس ذنوب الأمم السابقة في ما سبق، فجاءت الذنوب تنبئ عن حال الجمع، فتمثّل صورة جمعية لأمة واحدة، دل عليها الجمع، وذلك لهيبة الموقف من جهة، وقوة إيمانهم من جهة أخرى، فلجؤوا إلى الدعاء إشارة لشدة خوفهم من الله، حتى وإن كانت ذنوبهم من الصغائر ووردت (الذنب) في سورة يوسف مرتين، مرة مجموعة مشيرة إلى ذنوب أخوة يوسف، وبطلبهم من أبيهم أن يستغفر لهم ذنوبهم، ولم يأمرهم القرآن أن يستغفروا مباشرة، دون أن يقبل نبي الله والدهم ندمهم، ويرضى عنهم، لأن ذنوبهم ظلمته، ورضاه واجب كي يقبل الله استغفارهم، "فإن عفو المظلوم شرط المغفرة[٣١]، بينما خاطب القرآن زوجة عزيز مصر، وأمرها أن تستغفر لذنبها، لأن ذنبها ظلمها، وطلب المغفرة هذا من الله أولا، ومن زوجها ثانيا، يقول ابن عطية: "واستغفري لذنبك أي استغفري زوجك وسيدك"[٣٢]، وفي هذا دلالة أن الذنب يوجب الاستغفار على صاحبه، فهو علاقة بين العبد وربه، والاستغفار ليس مجرد صيغة لفظية تقال، بل شعور بإثم المعصية، وندم عليها، وعزم على عدم العودة لها، فالتوبة القلبية قبل الاستغفار اللفظي.

– ذنوب عباد الله عامة

أضيفت (الذنوب) مجموعة إلى العباد، فأعطتها تخصيصا، كقوله تعالى:﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾[٣٣]، فتظهر دلالة حدث الاكتفاء اشتراك جميع العباد بفعل الذنوب، على اختلاف بينهم في العودة عنها أو الاستمرار في فعلها،

(٢٧) . الفئة المقصودة هم الربيون، واختلف في معنى الربيين، فقيل: الألوف، وقيل: هم الاتباع والولاة، وقيل: العلماء والفقهاء، وقيل: اسم منسوب إلى الرب، وهم الذين يعبدون الرب، انظر الطبري، ٧/ ٢٦٥-٢٦٩؛ ينظر الواحدي، الوجيز، ٢٣٦.

(٢٨) آل عمران،١٤٧

(٢٩) الطبري، ٧/ ٢٧١.

(٣٠) ينظر الطبري، جامع البيان، ٧/ ٢٧٢؛ والبغوي، معالم التنزيل، ٢/ ١١٧.

(٣١) البيضاوي، أنوار التنزيل، ٣/ ١٧٦.

(٣٢) ابن عطية، المحرر الوجيز، ٣/ ٢٣٧.

(٣٣) الإسراء، ١٧.

وتصعّد الباء دلالة حدث الاكتفاء، وتعطيه قوة في المعنى، ويفسر الطبري هذا بقوله: "وحسبك يا محمد بالله خابرا بذنوب خلقه عالما، فإنه لا يخفى عليه شيء من أفعال مشركي قومك هؤلاء، ولا أفعال غيرهم من خلقه، وهو بجميع ذلك عالم خابر بصير"(٣٤)، ويفسر ابن عطية ورود (الباء) قبل (ربك) بقوله: "وهذه الباء إنما تجيء في الأغلب في مدح أو ذم وكأنها تعطي معنى اكتف بربك أي ما أكفاه في هذا"(٣٥).

تأتي الباء كذلك قبل ضمير الغيبة أيضا في توجيه الخطاب للرسول صلوات الله عليه وسلامه، فيدعو الله رسوله الكريم أن يطمئن بشأن معرفة أحوال العباد، في قوله تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾(٣٦)، ويقول الزمخشري فيها: "إن ليس إليه من أمر عباده شيء، آمنوا أم كفروا، وأنه خبير بأعمالهم كاف في جزاء أعمالهم"(٣٧).

تبدو دلالة المعنى نفسه مؤكّدة بحرف مشبه بالفعل في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾(٣٨)، وقد أكسبت كلمة (جميعاً) الدلالة شيئا من الشمولية، وبهذا خطاب طمأنينة للمؤمنين، فمهما عظمت ذنوبهم يغفرها الله، يقول الطبري: "إن الله يستر على الذنوب كلّها بعفوه عن أهلها وتركه عقوبتهم عليها إذا تابوا منها"(٣٩)، فهو القادر على سترها بعفوه، ويقول ابن عطية: "هذه الآية عامة في جميع الناس إلى يوم القيامة في كافر ومؤمن، أي إن توبة الكافر تمحو ذنوبه، وتوبة العاصي تمحو ذنبه"(٤٠)، فليس مستبعدا مغفرة الذنوب، وإن كانت من كافر، شريطة التوبة والاعتراف بها، والعزم على تركها، فيفسر ابن كثير الاعتراف بالذنوب بقوله: "اعترفوا بذنوبهم، أي: أقروا بها، واعترفوا فيما بينهم وبين ربهم، وهذه الآية نزلت في أناس معينين، إلا أنها عامة في كل المذنبين الخطّائين المخلطين المتلوثين"(٤١).

أما مجيء لفظة (ذنب) مفردة نكرة، فجاء للرد على من يوأدون البنات، يقول الزمخشري: "وفيه دليل بين على أن أطفال المشركين لا يعذّبون، وعلى أن التعذيب لا يستحق إلا بالذنب"(٤٢)، فدل الاستفهام على جرم ذنبهم في قوله جل وعلا: "بأي ذنب قتلت"، وكأنه خطاب عقلي، يعصف أذهانهم، كي يتفكّروا بجريمتهم. في جين وردت

(٣٤) الطبري، جامع البيان، ١٧/ ٤٠٧.
(٣٥) ابن عطية، المحرر الوجيز، ٣/ ٤٤٥.
(٣٦) الفرقان، ٥٨.
(٣٧) الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٢٨٨.
(٣٨) الزمر، ٥٣.
(٣٩) الطبري، جامع البيان، ٢١/ ٣١١.
(٤٠) ابن عطية، المحرر الوجيز، ٤/ ٥٣٦.
(٤١) التوبة، ١٠٢. انظر ابن عطية، المحرر الوجيز، ٣/ ٧٧ وما بعدها، ابن كثير، ٤/ ١٨١.
(٤٢) الزمخشري، الكشاف، ٤/ ٧٠٨ .

(الذنب) مفردة معرفة بـ(ال)، وتفسيرها يحتمل اتجاهين، الأول ذنوب ما مضى في الدنيا، والثاني المغفرة يوم القيامة في الآخرة، يقول ابن عطية: "أي: غفرانه في الدنيا وقضاؤه بالغفران وستره على المذنبين، فيجوز أن يكون غافر صفة، لأن إضافته إلى المعرفة تكون محضة، وهذا مترجح جدا، وإذا أردت بغافرِ الاستقبال أو غفرانه يوم القيامة فالإضافة غير محضة (٤٣)، فغفرانه للذنب فضلا منه على عباده.

وجاءت اللفظة مفردة مضافة إلى ضمير الغيبة، في وصف يوم القيامة، قال جل وعلا: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾(٤٤)، ولدلالة الإفراد هنا إضفاء القدرة اللامتناهية لله، في معرفة ذنوب الخلق، مهما صغرت، فحتى الذنب الواحد لا يسأل الله عنه، ويعلمه، و"السؤال متى أثبت فهو بمعنى التوبيخ والتقرير، ومتى نفي فهو بمعنى الاستخبار المحض والاستعلام، لأن الله تعالى عليم بكل شيء(٤٥).

-ذنوب الكافرين

يأتي اعتراف الكافرين بذنوبهم في قوله تعالى: ﴿ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾(٤٦)، فيقول الطبري مفسرا اعترافهم هذا: "فأقروا بذنبهم ووحَّد الذنب، وقد أضيف إلى الجمع لأن فيه معنى فعل، فأدى الواحد عن الجمع، كما يقال: خرج عطاء الناس، وأعطية الناس"(٤٧)، وحين أماتهم الله وأحياهم اتضح لهم سوء صنيعهم، وإثم ذنوبهم، وعواقبها الوخيمة عليهم، فلسان حالهم يقول: "أقررنا بشركنا، وظهر لنا أن البعث حق"(٤٨)، وهذا الاستفهام لا يوجب ردا، بل هو لبيان شدة الندم التي يكونون بها، يوم لا ينفع، ويقول الثعالبي: "تقديره: لا إسعاف لطلبتكم، أو نحو هذا من الرد"(٤٩)، فعلى الرغم من مجيء اللفظة مفردة غير أنها ذنب الجميع، وحدث الذنب لم يقم به شخص واحد.

فوردت (ذنب) مفردة مضافة إلى ضمير الغيبة في حالة الجمع، فأشارت إلى الكافرين، وذنبهم في الشرك بالله، ويفسر الزمخشري الذنب هنا بقوله: "بذنبهم بكفرهم في تكذيبهم الرسل"(٥٠)، فتلا هذا الذنب ذنوب كثيرة لاحقة له، منبثقة منه، فينوب الواحد عن الجمع في دلالته.

في مقابل الإفراد يأتي حدث الاعتراف مع الذنوب مجموعة مضافة إلى الضمائر، كضمير الغيبة في قول جل وعلا: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ

(٤٣) ابن عطية، المحرر الوجيز، ٤/ ٥٤٦.
(٤٤) الرحمن، ٣٩.
(٤٥) ابن عطية، المحرر الوجيز، ٥/ ٢٣٢.
(٤٦) الملك، ١١.
(٤٧) الطبري، جامع البيان، ٢٣/ ٥١٠.
(٤٨) الطبري، جامع البيان، ٣/ ١٩٩.
(٤٩) الثعالبي، الجواهر الحسان، ٥/ ١٠٧.
(٥٠) الزمخشري، الكشاف، ٤/ ٥٧٩.

بَعۡدِ أَهۡلِهَآ أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ ﴾(٥١)، وفسر البغوي معنى (أصبناهم)، بمعنى: "أخذناهم وعاقبناهم بذنوبهم كما عاقبنا من قبلهم"(٥٢)، ويبين القرطبي المقصود بالذين يرثون الأرض كفار مكة ومن حولهم (٥٣)، فكل ذنب يعود بالسوء على مرتكبه، وهذه سنة الله في خلقه، لا يغفل عن مقدار ذرة.

وأضيف اللفظة مجموعة إلى ضمير المتكلم، في قوله عزّ وجل: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴾(٥٤)، وهنا جاء الإقرار بعد معايشة الدنيا وما بعدها من بعث ونشر، فلم يحصل ذنب واحد، بل ذنب الشرك أوجب الكفر بالأنبياء ورسالاتهم، والكفر بالموت والبعث بعده، وتأتي الذنوب مجموعة مضافة إلى ضمير الخطاب في قول عز وجل: ﴿ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ ﴾(٥٥)، يفسر البيضاوي هذا بقوله: "أي: فإن صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم، فإن من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه، وقد عذّبكم في الدنيا بالقتل والأسر والمسخ، واعترفتم بأنه سيعذبكم بالنار أياماً معدودات"(٥٦)، وفي الاستفهام ردٌّ على اليهود والنصارى حين قالوا نحن أبناء الله، وتعطي الإضافة إلى ضمير الخطاب دلالة أقوى من ضمير الغيبة، ذلك أنها تستوجب حوارا مباشرا، وما يترتب عليه من إضعاف الحجة، ودحض وجودها.

- ذنوب المؤمنين

ابتدأت الآية عند وصف ذنوب المؤمنين بالحديث عن الإيمان: ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ (٥٧)، وفي هذا إقرار للتصديق بوحدانية بوحدانية الله، وما بعث من مرسلين، ثم يتلو هذا التصديق طلب للغفران، فقال الطبري كأنّهم يقولون: "فاستر علينا ذنوبنا، بعفوك عنها، وتركك عقوبتنا عليها(٥٨)، وهذا لأنّهم يؤمنون إيماناً حقّاً، ويعلمون حاجة العبد لرحمة ربه، فمهما اجتهد من العمل لن يفي العبادة حقّها، لذلك فسر ابن كثير دعاء المؤمنين بقوله: "فاغفر لنا ذنوبنا أي بإيماننا بك، وبما شرعته لنا، فاغفر لنا ذنوبنا وتقصيرنا من أمرنا بفضلك ورحمتك"(٥٩)، وفي السورة نفسها يذكر الله الأوابين، وهم يطلبون المغفرة من ذنوبهم بضمير الغائب: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ

(٥١) الأعراف، ١٠٠.
(٥٢) انظر البغوي، معالم التنزيل، ٣/ ٢٦١.
(٥٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٧/ ٢٥٤.
(٥٤) غافر، ١١.
(٥٥) المائدة، ١٨.
(٥٦) البيضاوي، أنوار التنزيل، ٢/ ١٢٠.
(٥٧) آل عمران، ١٦.
(٥٨) الطبري، جامع البيان، ٦/ ٢٦٣.
(٥٩) ابن كثير، تفسير القرآن، ١٩/٢. العلمية

ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ ﴾[٦٠]، وتأتي دلالة التعالق الشرطي متوافقة مع صفات الأوابين، فهم يقرنون الاستغفار من الذنوب بزمن حدوثها ، ويردهم إيمانهم مباشرة عن الانغماس بالذنب، هذا وقد سبقت كلمة الذنوب، بأمرين: الأول فعل الفاحشة، والثاني ظلم النفس[٦١]، فالأول إشارة إلى الكبائر، والثاني إشارة إلى الصغائر[٦٢]، وجاءت تتمة الآية بإقرار حسن أوبتهم، يصفه الثعالبي بقوله: " ثم اعترض أثناء الكلام قوله تعالى: ومن يغفر الذنوب إلا الله اعتراضا موقفاً للنفس، داعياً إلى الله مرجياً في عفوه، إذا رجع إليه"[٦٣]، فانقطاع الاستثناء أوجد تأكيدا، ودل على حصر حصول المغفرة، إذ المعنى: لا غافر سوى الله.

تتكرر (الذنوب) [٦٤] في القرآن الكريم مجموعة مضافة إلى ضمير الخطاب، فيرى الطبري أنها بمعنى الصفح عن العقوبة، والعفو عما مضى منها[٦٥]، وكذلك الحال لدى من جاء بعده أمثال البغوي، والزمخشري، وابن عطية[٦٦]. ويبين القرطبي في تفسيره أن غفران الذنوب جزاء من الله لعباده، وعدهم به، وحسب ذلك درجة ورفعة منزلة [٦٧]، فهم بذلك يربحون رضا الله ونيل جنته والنجاة من النار. وقد تدخل (من) قبل لفظ (الذنوب)، كما في قوله تعالى: ﴿ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ ﴾(٦٨)، ويقول الطبري: "يتغمد لكم ربكم من ذنوبكم فيسترها لكم ولا يفضحكم بها في الآخرة بعقوبته إياكم عليها"(٦٩)، ويرى ابن مالك أنها تبعيضية. وحملها بعض النحويين على قوله: {يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ}، فجعل (من) زائدة، وقال: يجوز دخولها زائدة على معرفة، واستدل بالآية(٧٠).

وتبدو دلالة التبعيض قبل الذنوب مجموعة ومضافة في قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ ﴾(٧١)، يقول الزمخشري: "فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك، وأراد: أن لهم

(٦٠) آل عمران، ١٣٥.

(٦١) جاءت الفاحشة صفة لمحذوف أقيمت الصفة مقامه، التقدير: فعلوا فعلة فاحشة، وهو لفظ يعم جميع المعاصي، وقد كثر اختصاصه بالزنا. انظر الطبري، ٧/ ٢١٨؛ ابن عطية، المحرر الوجيز، ١/ ٥١٠.

(٦٢) انظر الثعالبي، الجواهر الحسان، ٢/ ١١١.

(٦٣) الثعالبي، الجواهر الحسان، ٢/ ١١١. يفسرها البغوي بالاستفهام" أي: وهل يغفر الذنوب إلا الله". ٢/ ١٠٧.

(٦٤) آل عمران، ٣١؛ الأحزاب، ٧١؛ الصف، ١٢. انظر فهرس الآيات.

(٦٥) الطبري، جامع البيان، ٦/ ٣٢٥.

(٦٦) انظر البغوي، ٨/ ١٠٩ ؛ والزمخشري، الكشاف، ٤/ ٥٢٧ ؛ وابن عطية، المحرر الوجيز، ٥/ ٣٠٤.

(٦٧) القرطبي، ١٤/ ٢٥٢.

(٦٨) الأحقاف، ٣١.

(٦٩) الطبري، جامع البيان، ٢٢/ ١٤١.

(٧٠) انظر الحازمي، شرح ألفية ابن مالك، ٦٩/ ٣.

(٧١) المائدة، ٤٩.

ذنوباً جمة كثيرة العدد، وأن هذا الذنب – مع عظمه – بعضها وواحد منها"(٧٢)، فالتبعيض أظهر شدة أثام ذنوبهم، وما يقابله من شدة في عقوبة الذنب الواحد، فما بالك بكل الذنوب! ويأتي التعالق بين فعل الشرط وجوابه بنتيجة مؤداها الإصابة ببعض الذنوب، فأسلوب الشرط من الأساليب متعددة الأطراف في العربية، ولا تحوي جملة واحدة، بل لا بد من جملتين مستقلتين فيها كي يكتمل المعنى، وكما يقول السكاكي: "الجملة الشرطية ليست إلا جملة خبرية مقيدة بقيد مخصوص"(٧٣)، فلا فائدة للاشتراط دون أن يحوي حدثا يأتي بنتيجة ما، ليبدو التركيب سليما، لذلك اشترطت الإصابة ببعض الذنوب بفعل الشرط (تولّوا).

ذنب النبي

عصم الله أنبياءه عن الخطأ، وخص نبيه محمداً صلى الله عليه وسلّم، وهذا الأمر لا يتعارض مع إنسانيته، وتسلّل الحزن إلى قلبه، حين كذّبه قومه في قريش، فجاءت دلالة (ذنب) في هذا الشأن، لتصرف النبي الكريم عن التفكّر بأذى المشركين له، والهدف من تذكيره بذنبه هو بث الطمأنينة في نفسه، ودعوته للتيقن بحقيقة وعد الله الذي بنصرته، ونصرة من صدقه وآمن به، على من كذّبه، وأنكر ما جاء به، ولا ريب في "أن وعد الله حقّ، لا خلف له، وهو منجز له، (واستغفر لذنبك) يقول: وسله غفران ذنوبك وعفوه لك عنه"(٧٤).

وفي هذا التوجيه الرباني لمحمد سيد الأنبياء، رسالة ربانية كذلك لأمته، يقول البغوي: "أمر بالاستغفار مع أنّه مغفور له لتستنَّ به أمَّته"(٧٥)، فلا يغتر أحد بإيمانه، ويتذكر أن الله خاطب نبيه بطلب المغفرة، على الرغم من إخباره إياه بمغفرة ذنبه، فيأمره بالاستغفار وهو في موقف غفران الذنب، وله مرتبة فريدة، فيقول الثعالبي: هذا التشريف الرباني لمحمد خاتم الأنبياء لا يوجب وجود ذنب يذكر، فالأمر بالمغفرة على هذا التأويل، يكون لعباده كي يقتدوا به، وهو المعصوم عن الخطأ، "وشرَّفه الله بأن أخبره أنَّه قد غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخّر، أي: وإن لم يكن ذنب"(٧٦).

ويفسر البيضاوي ما تقدم من ذنب النبي صل الله عليه وسلّم وما تأخر بقوله: "ما تقدم من ذنبك وما تأخر جميع ما فرط منك مما يصح أن تعاتب عليه"(٧٧)، فهو ليس ذنبا، بمفهوم الذنب، بل يشير إلى شعور راود نفس النبي، في أيام الرسالة العصيبة، وما ترتب على هذا من صعوبات.

(٧٢) الزمخشري، الكشاف، ١/ ٦٤١.
(٧٣) مفتاح العلوم، السكاكي، ٢١٧.
(٧٤) الطبري، جامع البيان، ٢١/ ٤٠٣.
(٧٥) البغوي، ٧/ ٢٨٥.
(٧٦) الثعالبي، الجواهر الحسان، ٥/ ٢٤٩.
(٧٧) البيضاوي، أنوار التنزيل، ٥/ ١٢٦.

المبحث الثاني: دلالة (سيئة) عند اللغويين والمفسّرين

سيئة:

قال الخليل: "والسيء والسَّيئة: عملان قبيحان، يصير السيء نعتاً للذَكر من الأعمال، والسَّيِّئة للأنثَى"(٧٨)، وورد عند الأزهري: "ساء يسوء: فعل لازم ومجاوز، يقال: ساء الشيء يسوء فهو سيء: إذا قَبح. والسُّوء: الاسم الجامع للآفات والدّاء"(٧٩)، ويبين الفيروزآبادي أنها بمعنى الخطيئة من أَساء إليه: ضدّ أحسن(٨٠)، السَّيئة أصلها سيئوئة فقلبت الواو ياء وادغمت(٨١).

وقال ابن منظور: "قد كثر ذكر السَّيئة في الحديث، وهي والحسنة من الصفات الغالبة. يقال: كلمة حسنة وكلمة سيِّئةٌ، وفِعلة حسنة وفِعلةٌ سيِّئة. وأَساء الشيء: أَفسده ولم يحسن عمله"(٨٢). فدلّت السيئة إذن، على عمل قبيح غير مقبول، فيه إفساد ومضرة، وقد تشير إلى الصغائر من الذنوب كما في قوله تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾(٨٣). فالسيئة، إذن فعل أو قول يخرج عن حدود الإسلام في التعامل، ويؤذي به المسيء غيره، ويقابله الحسنة التي تنفع صاحبها في الدنيا والآخرة، وتكون له حرزا من النار.

فيما يأتي سأذكر تقسيمات السيئة كما وردت في القرآن الكريم:

– سيئات الأمم السابقة

تشكّلت الجمل في العربية بأساليب لغوية مختلفة، وفقا للرسالة التي تريد إيصالها للمتلقي، لينتج إثر هذا التنظيم علاقات تركيبية، وما يرتبط بهذه العلاقات من دلالات مختلفة، لتنطلق من الجملة ثم إلى السياق اللغوي متكاملاً، فإذا تجاوزت حدود الجملة، لا تتجاوز الأسلوب الذي قد يمتد من جملة إلى أخرى في تراكيب متعددة، وتكون الجملة البؤرة التي تنطلق منها التراكيب، وتشير المفردة في الجملة إلى دلالة خاصة أيضاً كاستعمال السياق القرآني (سيئة) نكرة في الحديث عن سيئات قوم موسى، والرد عليهم فيما نسبوا إلى موسى من الشؤم، في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ﴾(٨٤)،وفي شأن والتعريف والتنكير يقول ابن جزي: "إن وقوع الحسنة كثير، والسيئة وقوعها نادر، فعرف الكثير الوقوع باللام التي للعهد، وذكره بإذا لأنها تقتضي التحقيق، وذكر

(٧٨) الفراهيدي، العين، باب (س ي ء).
(٧٩) الأزهري، تهذيب اللغة، باب السين والميم.
(٨٠) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (ساء).
(٨١) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، مادة (سوأ).
(٨٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سوء).
(٨٣) النساء، ٣١.
(٨٤) الأعراف، ١٣١.

السيئة بأنّ لأنها تقتضي الشك ونكرها للتعليل"[٨٥]، فلم يريدوا أن يعترفوا أن ما جاءهم من الحسنات فمن الله عزّ وجل، وأن ما أصابهم من سيئات فهو من عند الله أيضا، ولكن بما كسبت أيديهم، وعقاباً لأفعالهم، فكثرة الحسنات أوحت لهم بحدوثها كالواجب، واعتادوا عليها، وحين حصلت سيئة وإن كانت واحدة اعترضوا وتذمروا وبادروا إلى التطير بموسى ومن معه، وهذا سوء أدبهم مع الله تعالى ورسله، ولدلالة استخدام أداة الشرط (إذا) [٨٦]، مع الحسنة الكثرة أيضا، في حين دلالة حرف الشرط (إن) مع سيئة.

تعهد الله بتكفير سيئات من أناب، وآمن به، وعمل صالحا، وتأتي الحسنة بدلا من السيئة للابتلاء عقابا، لا جزاء، كما في قوله تعالى عن أهل القرية التي أخذها بالبأساء والضراء: ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ ﴾ [٨٧]، يقول الزمخشري: "أي أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة والرخاء والصحة والسعة"[٨٨]، فهو ابتلاء لهم بالأمرين، لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه. فلم يبق بعد ابتلائهم بالسيئات والحسنات إلا أن أخذهم الله بالعذاب. ابتلاء بني إسرائيل إذن، كان بالرخاء والعافية من جهة، وبالشدة والبلاء من جهة أخرى لعلهم يرجعون عن سوء صنيعهم، وكفرهم بالأنبياء [٨٩].

وجاء الحديث عن سيئات قوم لوط، في قوله تعالى﴿ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [٩٠]، فدلت (من قبل) على اعتيادهم على السيئات، يقول ابن كثير مفسرا اعتيادهم بقوله: "فلم يزل هذا من سجيتهم حتَّى أُخذُوا وهمْ علَى ذَلكَ الْحالَ"(٩١)، وفي وصف قوم صالح يقول الله تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ﴾[٩٢]، فتبدو دلالة الاستفهام البلاغية، ويبدو اللوم والتعجب فيها، وكأن نبي الله يقول لهم: "هلا تتوبون إلى الله من كفركم، فيغفر لكم ربكم عظيم جرمكم، يصفح لكم عن عقوبته إياكم على ما قد أتيتم من عظيم الخطيئة"(٩٣)، ويقول الثعالبي: "ثم إن صالحاً- عليه السلام- ترفّق بقومه ووقفهم على خطئهم في استعجالهم العذاب قبل الرحمة. أو المعصية لله قبل الطاعة"(٩٤)، فتظهر السيئة منهم في مكان لا يلائمها، وساند

(٨٥) ابن جزي، التسهيل، ١/ ٢٩٩.
(٨٦) الأعراف، ١٣١.
(٨٧) الأعراف، ٩٥.
(٨٨) الزمخشري، الكشاف، ٢/ ١٣٢.
(٨٩) ابن كثير، تفسير القرآن، ٣/ ٤٩٩.
(٩٠) هود، ٧٨.
(٩١) انظر ابن كثير، تفسير القرآن، ٤/٢٩٠.
(٩٢) النمل، ٤٦.
(٩٣) الطبري، جامع البيان، ١٩/ ٤٧٦.
(٩٤) الثعالبي، الجواهر الحسان، ٤/ ٢٥٣.

هذا المعنى دلالة حدث الاستعجال، ولا مبرر لوجودها، ويلفت انتباههم للحسنة التي تناسب مقامهم.

– سيئات الكفار

يذكر الله سيئات الكفار في قوله عز وجل: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[٩٥]، ويبين عاقبتهم عليها، ويرى الطبري أن المعنى بالآية خاص دون عام، وأن الله تعالى قد عنى بذلك أهل الشرك والكفر به(٩٦)، ويقول الزمخشري: "يجوز أن يكون في الأمم الخالية آخرون قائلون مثلها، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا، ويجمعون منه من هؤلاء من مشركي قومك، سيصيبهم مثل ما أصاب أولئك"(٩٧)، وتبدو هنا دلالة الحدث (كسب) موحية بأن السيئة جزاء عمل، ونتيجة جهد مبذول، لأن الكسب لا يكون دون عمل، لكنّه في اتجاه السلب، فالكسب ليس نفعاً، بل ما يضر صاحبه قبل أن يضر غيره، لذلك هو خطيئة تحيط به كما تصور الآيات، فتقرر حكماً عاما لكل من اتجه هذا الاتجاه في الكسب، ونتيجة مؤكدة لكسبه.

وهذا الاستعمال الأقل لـ(السيئة) أن تأتي نكرة مفردة، بينما جاءت اللفظة مجموعة في وصف سيئات الكفار، كذلك يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ ﴾[٩٨]، حين تظهر أعمالهم في الدنيا مكتوبة بصحفهم، إذ أعطوا كتبهم بشمائلهم[٩٩]،ويقول البغوي: "اجتراح المعاصي يعطي دلالة اكتسابها، ونزلت كذلك في نفر من مشركي مكة"[١٠٠]. وفي الحديث عن سيئات الكفار أيضا، يقول الله تعالى: ﴿ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾[١٠١]، ويفسر ابن جزي الآية بقوله: "أصابهم جزاء سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون أي أحاط بهم العذاب الذين كانوا به يستهزؤون، وهذا تفسيره حيث وقع وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء قالوا ذلك على وجه المجادلة والمخاصمة والاحتجاج على صحة فعلهم"[١٠٢].

استعمل التركيب القرآني أذن، حدث (الكسب) ومرادفه (العمل) مع لفظة (سيئة) مضافة مجموعة، فلم تستعمل الإضافة في حالة الإفراد،

(٩٥) البقرة، ٨١.
(٩٦) انظر الطبري، جامع البيان، ٢/ ٢٨٣.
(٩٧) الزمخشري، الكشاف، ٤/ ١٣٥.
(٩٨) الزمر، ٤٨.
(٩٩) الطبري، جامع البيان، ٢١/ ٣٠٢.
(١٠٠) البغوي، ٧/ ٢٤٤.
(١٠١) النحل، ٣٤.
(١٠٢) ابن جزي، التسهيل، ١/ ٤٢٦.

بل ظهرت في حالة الجمع، كمجيء اللفظة مجموعة مضافة إلى الاسم الموصول، لتبين الآيات أن ما يحصل عليه المرء نتيجة ما قدمه من عمل، فالسيئة تعود بالمضرة على فاعلها، سواء أكان العقاب في الدنيا أم في الآخرة، لذلك ورد التركيب اللغوي باستخدام الحدث مرتين، الأول: حدث الإصابة، والثاني: حدث الكسب والعمل بعد الاسم الموصول، وفي هذا إشارة إلى طبيعة السيئة في اعتمادها على عمل ما، ليس خفياً بين العبد وربه كالذنب، بل هو حدث كائن قد يستمر طويلا قبل أن تقع العقوبة.

يصف الله استهزاء الكافرين بعقوبته لهم على سيئاتهم ما وصفهم به الله: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[١٠٣]، يقول البغوي مفسرا هذا:"الاستعجال: طلب تعجيل الأمر قبل مجيء وقته، والسَّيئة ها هنا هي: العقوبة، والحسنة: العافية. وذلك أنَّ مشركي مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلاً من العافية استهزاء منهم"[١٠٤].

وتقارن الآيات بين نظرة المنافقين للسيئة والحسنة، فيقول السمرقندي شارحا هذا: "وإن تصبهم حسنة أي: الفتح والغنيمة والخصب يقولوا: هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة أي نكبة وهزيمة يقولوا هذه من عندك أي من شؤمك، يعني: أصابتنا بسببك، أنت الذي حملتنا على هذا"[١٠٥]. ومن هذه المقارنة تجبر الكافر وما يقوله في السراء والضراء، فيدل الشرط على تكبره حين تصيبه نعمة، فإن أصابته نعمة بعد نقمة لَيقُولَنَّ ذهب السَّيئات عني أي يقول: ما ينالني بعد هذا ضيم ولا سوء إنَّه لَفَرِح فخور أي فرح بما في يده بطر فخور على غيره[١٠٦].

وفي حال تأخير التوبة من عمل السيئات تصف الآيات عدم قبولها، ممن سوف توبته إلى حضرة الموت لمجاوزة أوان التكليف والاختيار من المراد، ويجيب الزمخشري عن استفهام من المقصود في الوصف: "أهم الفساق من أهل القبلة أم الكفار؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما أن يراد الكفار، لظاهر قوله: (وهم كفّار). وأن يراد الفساق، لأن الكلام إنما وقع في الزانيين، والإعراض عنهما إن تابا وأصلحا، ويكون قوله: (وهم كفّار) وارداً على سبيل التغليظ"[١٠٧]. وفي قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[١٠٨] تستهجن الآيات شعور الكافرين بالأمن، على الرغم من مكرهم واحتيالهم، يقول القرطبي: "وهذا وعيد للمشركين

(١٠٣) الرعد، ٦.
(١٠٤) البغوي، ٤/ ٢٩٦.
(١٠٥) السمرقندي، بحر العلوم، ١/ ٣١٩.
(١٠٦) انظر ابن كثير، تفسير القرآن، ٢٦٨/٤.
(١٠٧) انظر الزمخشري، الكشاف، ١/ ٤٨٩.
(١٠٨) النحل، ٤٥.

الذين احتالوا في إبطال الإسلام أن يخسف الله بهم الأرض"[١٠٩] .

وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾[١١٠]ذكر حال الأشقياء فذكر تعالى عدله فيهم وأنَّه يجازيهم على السَّيئة بمثلها لا يزيدهم على ذلك وترهقهم أي تعتريهم وتعلوهم ذلة من معاصيهم وخوفهم منها[١١١]،ويكون جزاء النار عقابا ملائما حين يصر الكافر على السيئة المتمثلة في الشرك، ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ ﴾ [١١٢]، يقول الثعالبي: "والسيئة التي في هذه الآية هي الكفر والمعاصي. فيمن حتَّم الله عليه من أهل المشيئة بدخول النار"[١١٣]، ويؤكد القرطبي إجماع من أهل التَّأويل في أنَّ الحسنة لا إله إلا الله، وأنَّ السَّيئة الشّرك في هذه الآية[١١٤].

– سيئات المؤمنين

بدا الوصف القرآني لسيئات المؤمنين في اتجاهين: الأول: وصف كيفية تكفيرها، وما يتبع هذا الأمر من أحداث، والثاني: ورودها في سياق يقارن بين عاقبة السيئة وجزاء الحسنة كما يأتي:

أ– تكفير السيئات

أقسم الله أنه سيكفّر سيئات المؤمنين، لذلك فتكفير السيئات مرهون بأمرين: الأول: قلبي متمثّل بالإيمان، والثاني: حسي ملموس نتيجة للأول يظهره العمل الصالح بعد الإيمان، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾[١١٥]، فتقوي دلالة القسم من الله عزّ وجل تكفير السيئات، ليس هذا فقط، بل يتبع هذا أيضا بالفوز في الجنة، ولكن هذا الأمر لم يحدث إلّا حين تملّك الأيمان من قلوبهم، ودفعهم للعمل، فتحقّق الأمران اللذان يرتهن بهما تكفير الذنوب.

وبين الطبري معنى تكفير الذنوب بقوله: "يعني: لأمحونها عنهم، ولأتفضلن عليهم بعفوي ورحمتي، ولأغفرنها"[١١٦]، وتلا هذا وعد لهم بإدخالهم الجنة جزاء لهم على ما عملوا، لأنهم آمنوا إيمانا خالصا لله، وقدموا موجبات إيمانهم على رغبات أنفسهم، هذا ما توضحه كتب التفاسير الأخرى، كالسمرقندي، فيقول: "ومن يتَّقِ الله ويعمل

(١٠٩) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٣/ ٣٢٦؛ ١٠/ ١٠٩.

(١١٠) يونس، ٢٧.

(١١١) انظر ابن كثير، تفسير القرآن، ٤/ ٢٣٠.

(١١٢) النمل، ٩٠.

(١١٣) الثعالبي، الجواهر الحسان، ٤/ ٢٦٢.

(١١٤) القرطبي، ١٣/ ٢٤٥.

(١١٥) آل عمران، ١٩٥، وورد التركيب في العنكبوت،7.

(١١٦) انظر الطبري، جامع البيان، ٧/ ٤٩٠.

بأحكامه وفرائضه، يكفّر عنه سيئاته في الدنيا، ويعظم له أجرا يعني: ثوابا في الجنة"[١١٧].

وللزمخشري رأي في من تكفير السيئات في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[١١٨]، فيرى "إما أن يريد قوما مسلمين صالحين قد أساءوا في بعض أعمالهم، وسيئاتهم مغمورة بحسناتهم، فهو يكفّرها عنهم، أي يسقط عقابها، بثواب الحسنات، ويجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون، أي: أحسن جزاء أعمالهم، وإما قوما مشركين آمنوا وعملوا الصالحات، فالله عز وجل يكفّر سيئاتهم بأن يسقط عقاب ما تقدّم لهم من الكفر والمعاصي"[١١٩]، وفي الحالتين اتّجهوا لربهم بالإيمان والعمل الصالح، وعزموا على طاعته. فوعد الله ثابت، يجازي به من آمن وأتبع إيمانه بالعمل الصالح، فيكفّر عنه أعمال سوء ماضية بأعمال خير آنية وقادمة، وقد يكون التكفير لبعض السيئات دافعا لمزيد من العمل، مثل "مجازاة الله عز وجل مخفي الصدقة بتكفير بعض سيئاته بصدقته التي أخفاها"[١٢٠]، ولولا الإيمان والعمل الصالح لما كفّر الله السيئات، فالله قابل التوبة من عباده مهما كثرت سيئاتهم، أو عظمت، لذلك دلّت (عسى) على الوجوب قبل تكفير السيئات، فعسى من الله موجبة[١٢١]، فهبة الله لمن تاب لا تحتمل الشك.

وفي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[١٢٢]، دلّت السيئات على الشرك[١٢٣] قبل الإسلام، فمن كرمه بعباده عامة قبولهم بعد إشراكهم، ومن شدة كرمه بعباده المؤمنين وقايتهم السيئات، فيعلّق ابن كثير قائلا: "وقهم السَّيِّئات أَي فعلَها أَو وبالَها ممَّن وقعت منه، ومن تق السَّيِّئات يومئذ أَي: يوم الْقيامة فقد رحمته أَي لطفت به ونجَّيته من الْعُقُوبة"[١٢٤]، فالوقاية يوم القيامة من رحمة الله بالمؤمنين، ولطفه بهم، وتكريمه لهم.

ب- مقارنة السيئات بالحسنات

أبرزت المقابلة أهمية العمل الصالح لبيان حالين مغايرين، في قوله تعالى: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ﴾[١٢٥]، فرسمت صورة المؤمنين اللازمة، لئلا ينتصر عليهم أعداؤهم، وفي هذا يقول الطبري: "فإذا رأوا من

(١١٧) السمرقندي، بحر العلوم، ٣/ ٤٦٢؛ وانظر ابن جزي، التسهيل، ٢/ ٣٨٦.
(١١٨) العنكبوت، ٧.
(١١٩) الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٤٤١.
(١٢٠) الطبري، جامع البيان، ٥/ ٥٨٥.
(١٢١) انظر ابن كثير، ٨/ ١٩١.
(١٢٢) الشورى، ٢٥.
(١٢٣) انظر الزمخشري، الكشاف، ٤/ ٢٢٢؛ والقرطبي، ١٦/ ٢٥.
(١٢٤) ابن كثير، تفسير القرآن، ٧/ ١١٩.
(١٢٥) آل عمران، ١٢٠.

أهل الإسلام ألفة وجماعة وظهورا على عدوهم، غاظهم ذلك وساءهم، وإذا رأوا من أهل الإسلام فُرقة واختلافًا، أو أصيب طرف من أطراف المسلمين، سرَّهم"(١٢٦). وجاءت المقابلة كذلك للتمييز بين نوعين من الشفاعة يثبتهما البغوي: "الشَّفاعة الحسنة هي الإصلاح بين النَّاس، والشَّفاعة السَّيئة هي المشي بالنَّميمة بين النَّاس(١٢٧).

ظهرت دلالة المقارنة في حال المؤمن، حين يعمل صالحا، فالحسنة من الله، والسيئة من أنفسنا، يقول جل وعلا: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾(١٢٨)، وتكون السيئة حينها عقابا من الله، لصنيع فعلوه، وعمل سوء قاموا به، فيفسرها السمرقندي بقوله:" بما قدَّمت أيديهم يعني: جزاء لذنوبهم إذا هم يقنطون"(١٢٩).

يقول الزمخشري: "ما أصابك يا إنسان خطابا عاما من حسنة، أي: من نعمة وإحسان، فمن الله تفضلاً منه وإحسانا وامتنانا وامتحانا، وما أصابك من سيئة أي: من بلية ومصيبة فمن عندك، لأنك السبب فيها بما اكتسبت يداك"(١٣٠) ، ويقول في موضع آخر بشأن مقدار الجزاء على كل من السيئة والحسنة: "فلا يجزى إلا مثلها لأنّ الزيادة على مقدار جزاء السيئة قبيحة، لأنها ظلم. وأما الزيادة على مقدار جزاء الحسنة فحسنة، لأنها فضل"(١٣١)، ويقول ابن جزي في دلالة السيئة في قوله تعالى:﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾(١٣٢): "وجزاء سيئة سيئة مثلها سمى العقوبة باسم الذنب، وجعلها مثلها تحرزاً من الزيادة عليه"(١٣٣)، فعدل الله في مجازاة السيئة بمثلها، وكرمه علاوة على العدل يجازي الحسنة بخير منها، فيقول ابن كثير واصفًا هذا بمقام الفضل: "من جاء بالحسنة أي يوم القيامة، فله خير منها أي: ثواب الله خير من حسنة العبد، فكيف والله يضاعفه أضعافًا كثيرة، وهذا مقام الفضل"(١٣٤)، فاستخدام لفظ (السيئة) معرفة مفردة كما فدل على العموم، ولطف الله بعباده، حين يجازي خيراً من الحسنة، ويبقي السيئة كما هي ويظهر الجزاء المغاير لطرفي المقابلة، بدلالة أسلوب الحصر في آية أخرى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(١٣٥).

---

(١٢٦) انظر الطبري، جامع البيان، ٥/ ٥٨٥.
(١٢٧) انظر البغوي، ٢/ ٢٥٦.
(١٢٨) الروم، ٣٦؛ الشورى، ٤٨.
(١٢٩) السمرقندي، بحر العلوم، ٣/ ١٣.
(١٣٠) الزمخشري، الكشاف، ١/ ٥٣٨.
(١٣١) الزمخشري، الكشاف، ٤/ ١٦٨.
(١٣٢) الأنعام، ١٦٠.
(١٣٣) ابن جزي، التسهيل، ٢/ ٢٥١. الآية من الشورى، ٤٠.
(١٣٤) انظر ابن كثير، تفسير القرآن، ٦/ ٢٣٣.
(١٣٥) القصص، ٨٤.

وعرفت (السّيّئة) بـ(ال) التعريف في صيغة الجمع كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴾[١٣٦]، وفي هذا عموم أيضا، كسابقه، وعدم تخصيص لقوم دون غيرهم، وقبول المشرك إن تاب وإن كانت سيئاته من الكبائر.

وتأتي دلالة الحسنة والسيئة دون مقابلة بين جملتين، بل تكتفي بوصف حالين للمؤمن، تظهر الحالة الأولى عمل السيئة، وتوجب الحالة الثانية محوها بعمل الحسنة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾[١٣٧]، فتكرر الوصف مرتين في القرآن، ويفسرها القرطبي بقوله: "فيجازون الإساءة بالإحسان، أو يتبعون السيئة الحسنة فتمحوها"[١٣٨]. ويقول البيضاوي واصفا حالة المؤمنين هنا: "قيل: يدفعون بالاحتمال والكلام الحسن الأذى. وقيل: يدفعون بالتَّوبة والاستغفار الذُنوب، وعلى الأوَّل فهو وصف لمكارم الأخلاق"[١٣٩]، ويفسر الثعالبي مسألة تبديل السيئات في قوله تعالى: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٍ ﴾[١٤٠] أي: "بأن يجعل أعمالهم بدل معاصيهم الأولى طاعة"[١٤١]، وهذا من كرم الله بعباده المؤمنين، وعده به إن تابوا وآمنوا وعملوا صالحا، كما مر في الآيات السابقة، فالحسنات تذهب السيئات، ويقول ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴾[١٤٢]: "إنَّ فعل الخيرات يكفّر الذُنوب السَّالفة"[١٤٣]، وفيه خطاب للنبي، وللمؤمنين جميعا في فعل الحسنات من إقامة للصلاة لتكفير السيئات. وتأتي دلالة التأكيد في إثبات أن السيئة تزول بالحسنة تتبعها، وفي هذا خطاب للنبي، وللمؤمنين جميعا في فعل الحسنات من إقامة للصلاة وغيرها لتكفير السيئات، وهذا تعظيم من الله للحسنات

وخلاصة القول: وردت اللفظتان: (ذنب، سيئة) في حالتي: الإفراد، والجمع، وذلك وفقا لسياقاتهما، فكان الاستعمال في حالة الجمع فيهما يقارب ضعف الاستعمال في حالة الإفراد، إذ استعملت واحدة وستون لفظة مجموعة من أصل ثلاث وتسعين لفظة، وكذلك الحال عند النظر في كل لفظة على حدة، كما يبدو في الجدول (١):

جدول (١):

الإفراد والجمع			
الاسم	**ذنب**	**سيئة**	**المجموع**
مفرد	١١	٢١	٣٢
جمع	٢٧	٣٤	٦١
المجموع	٣٨	٥٥	٩٣

(١٣٦) الشورى، ٢٥.
(١٣٧) الرعد، ٢٢؛ القصص، ٥٤.
(١٣٨) البيضاوي، أنوار التنزيل، ٣/ ١٨٦.
(١٣٩) القرطبي، ١٣/ ٢٩٨.
(١٤٠) الفرقان، ٧٠.
(١٤١) انظر الثعالبي، الجواهر الحسان، ٤/ ٢١٩.
(١٤٢) هود، ١١٤.
(١٤٣) ابن كثير، تفسير القرآن، ٤/ ٣٠٤.

دعت دلالة السياق كذلك إلى مجيء اللفظتين بحالة التعريف حينا سواء أكان بالإضافة أم بـ(ال) التعريف، وبحالة التنكير حينا آخر، فكان النصيب الأكبر لحالة التعريف، وفي الدرجة الأولى الإضافة، وفي الجدول (٢) عرضت إحصائية التعريف والتنكير للفظتين:

جدول (٢):

التعريف والتنكير								
	ذنب				سيئة			
	معرف بالإضافة	معرف بـ(ال)	نكرة	المجموع	معرف بالإضافة	معرف بـ(ال)	نكرة	المجموع
مفرد	٨	١	٢	١١	–	١٠	١١	٢١
جمع	٢٥	١	١	٢٧	٢٦	٨	–	٣٤
المجموع	٣٣	٢	٣	٣٨	٢٦	١٨	١١	٥٥
المجموع	٣٥		٣	٣٨	٤٤		١١	٥٥

لم ترد لفظة (ذنب) نكرة إلا ثلاث مرات، مفردة مرتين ومجموعة مرة واحدة، ولا يكاد يذكر التعريف بـ(ال) مقارنة مع التعريف بالإضافة الذي شكّل خمس وثلاثين لفظة من أصل ثمان وثلاثين. أما لفظة (سيئة) فجاءت أربعا وأربعين مرة معرفة، في مقابل إحدى عشرة مرة نكرة، ولم تستعمل الإضافة في حالة الإفراد، بل ظهرت بكثرة في حالة الجمع، وجاء التعريف بـ(ال) في نسبة متقاربة، وبالنسبة للتنكير فلم يكن له استعمال في حالة الجمع، بل لم ترد به اللفظة إلا مفردة.

أما عن اجتماع اللفظتين في تركيب لغوي واحد، كما في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا ﴾[١٤٤]، فوردت (سيئة) بعد (ذنب) في فالتمس النداء طلبين: الأول: طلب المغفرة للذنوب، وتجاوزها، وهذا يعني عدم العقوبة عليها، وما يترتب على ذلك من سترها يوم القيامة، والثاني: طلب التكفير عن السيئات، ومحوها بفضل الله ورحمته بعباده[١٤٥]، فدل هذا على اختصاص كل من الذنب والسيئة بدلالة معينة، فاستوجبت دلالة الذنب طلب المغفرة، واقترنت السيئة بطلب التكفير عنها، بعمل الصالحات، لذلك لا تختص السيئات كما هو الحال في الذنوب بالكافرين وحدهم، بل للمؤمن سيئات

(١٤٤) آل عمران، ١٩٣.

(١٤٥) انظر الطبري، جامع البيان، ٧/ ٤٨٢. فسر الطبري الذنوب بالخطايا.

أيضاً، ويوجّهه القرآن للتكفير عنها، كما أرشده للتوبة عن الذنب مشروطة بالإقلاع عنه.

جدول (ذنب)			
	السورة	رقم الآية	الآية/أو الجزء من الآية
١	آل عمران	11	﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾
٢	آل عمران	١٦	﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾
٣	آل عمران	٣١	﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾
٤	آل عمران	١٣٥	﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ ﴾
٥	آل عمران	١٤٧	﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا ﴾
٦	آل عمران	١٩٣	﴿ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾
٧	المائدة	18	﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ ﴾
٨	المائدة	٤٩	﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَـٰسِقُونَ ﴾
9	الأنعام	6	﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَـٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾
10	الأعراف	100	﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ ﴾
11	الأنفال	52	﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ ﴾
12	الأنفال	54	﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ﴾
13	التوبة	102	﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾
14	يوسف	29	﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴾
15	يوسف	97	﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴾

جدول (ذنب)			
	السورة	رقم الآية	الآية/أو الجزء من الآية
16	إبراهيم	10	﴿ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ ﴾
17	الإسراء	17	﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴾
18	الفرقان	58	﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾
19	الشعراء	14	﴿ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴾
20	القصص	78	﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾
21	العنكبوت	40	﴿ فَكُلّٗا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ ﴾
22	الأحزاب	71	﴿ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ ﴾
23	الزمر	53	﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ ﴾
24	غافر	3	﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ ﴾
25	غافر	11	﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا ﴾
26	غافر	٢١	﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴾
27	غافر	55	﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾
28	الأحقاف	31	﴿ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ ﴾
29	مُحَمَّد	19	﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ ﴾
30	الفتح	2	﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾
32	الرحمن	39	﴿ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ﴾
33	الصف	12	﴿ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾

جدول (ذنب)			
	السورة	رقم الآية	الآية/أو الجزء من الآية
34	الملك	11	﴿ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾
35	نوح	4	﴿ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ ﴾
36	التكوير	9	﴿ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ﴾
37	الشمس	14	﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ﴾

جدول (سيئة)			
	السورة	رقم الآية	الآية/أو الجزء من الآية
١	البقرة	81	﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾
2	البقرة	271	﴿ إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ ﴾
3	آل عمران	120	﴿ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ ﴾
4	آل عمران	193	﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا ﴾
5	آل عمران	195	﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴾
6	النساء	18	﴿ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ ﴾
7	النساء	31	﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴾
8	النساء	78	﴿ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ ﴾

9	النساء	79	﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ ﴾
10	النساء	85	﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾
11	المائدة	12	﴿ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾
12	المائدة	٦٥	﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾
13	الأنعام	160	﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾
14	الأعراف	95	﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ ﴾
15	الأعراف	131	﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ﴾
16	الأعراف	153	﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾
17	الأعراف	168	﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾
18	الأنفال	29	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ ﴾
19	يونس	27	﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾
20	هود	10	﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾
21	هود	78	﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ﴾
22	هود	114	﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ﴾
23	الرعد	6	﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ﴾
24	الرعد	22	﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً

			﴿ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾
25	النحل	34	﴿ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾
26	النحل	45	﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾
27	المؤمنون	96	﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ ﴾
28	الفرقان	70	﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ ﴾
29	النمل	46	﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾
30	النمل	90	﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ ﴾
31	القصص	54	﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾
32	القصص	84	﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾
33	العنكبوت	4	﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾
34	العنكبوت	7	﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ ﴾
35	الروم	36	﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ﴾
36	فاطر	10	﴿ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ ﴾
37	الزمر	48	﴿ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾
38	الزمر	51	﴿ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴾
39	غافر	9	﴿ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾
40	غافر	40	﴿ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ ﴾
41	غافر	45	﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ ﴾
42	فصلت	34	﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ﴾

43	الشورى	25	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾
44	الشورى	40	﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾
45	الشورى	48	﴿ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ﴾
46	الجاثية	21	﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾
47	الجاثية	33	﴿ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾
48	الأحقاف	16	﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ ﴾
49	مُحَمَّد	2	﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ ﴾
50	الفتح	5	﴿ لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ ﴾
51	التغابن	9	﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ﴾
52	الطلاق	5	﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴾
53	التحريم	8	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ ﴾

الخاتمة والنتائج:

خلص البحث إلى النتائج الآتية:

- استعمل التركيب القرآني لفظة (ذنب) في سياق المغفرة، بينما جاءت لفظة (سيئة) مقترنة في الحديث عن طلب التكفير عنها، فدل هذا على اختصاص كل من الذنب والسيئة بدلالة معينة.
- دلّت لفظة (ذنب) على علاقة المرء بربه، وإقراره بتجاوزه، واعترافه بما جنى فيه على نفسه، في حين اختصت لفظة (سيئة) بعلاقة المرء بغيره، ونتيجة معاملاته في مجتمعه الإسلامي، وما يترتب على هذا من صنيع سيء في مقابل الصنيع الحسن الذي أمر به.
- وردت اللفظتان: (ذنب، سيئة) في حالتي: الإفراد، والجمع، وذلك وفقا لسياقاتهما، فكان الاستعمال في حالة الجمع فيهما يقارب ضعف الاستعمال في حالة الإفراد، إذ استعملت واحدة وستون لفظة مجموعة من أصل ثلاث وتسعين لفظة

- دعت دلالة السياق القرآني إلى استعمال لفظتي (الذنب والسيئة) بحالة التعريف حينا سواء أكان بالإضافة أم بـ(ال) التعريف، وبحالة التنكير حينا آخر.
- استعملت لفظة (ذنب)أكثر في حالة التعريف، وفي الدرجة الأولى الإضافة، فلم ترد لفظة (ذنب) نكرة إلا ثلاث مرات، مفردة مرتين ومجموعة مرة واحدة، ولا يكاد يذكر التعريف بـ(ال) مقارنة مع التعريف بالإضافة الذي شكّل خمس وثلاثين لفظة من أصل ثمان وثلاثين.
- جاءت لفظة (سيئة) أربعا وأربعين مرة معرفة، في مقابل إحدى عشرة مرة نكرة، ولم تستعمل الإضافة في حالة الإفراد، بل ظهرت بكثرة في حالة الجمع، وجاء التعريف بـ(ال) في نسبة متقاربة، وبالنسبة للتنكير فلم يكن له استعمال في حالة الجمع، بل لم ترد به اللفظة إلا مفردة.
- سبق (ذنب) مفردة ومجموعة أحداث دالّة على بيان العمل وعاقبته، ابتداء بالعاقبة المتمثّلة بالحدث، ثم العمل الذي أدّى إلى نتيجته وهو الذنب، وقد يتعدد العمل ويتكرر، فلا يقف عند ذنب واحد، فينوب الواحد عن الجمع في دلالته.
- جاءت لفظة الذنوب مجموعة مضافة إلى ضمير المتكلم، والغيبة، ودلّت على ذنب الشرك من أجل الإقرار بوحدانية الله بعد معايشة الدنيا وما بعدها من بعث ونشر.
- أثبت السياق القرآني أن السيئة تزول بالحسنة تتبعها، وأن فعل الحسنات من التزام بأوامر الله ونواهيه يكفّر السيئات، وفي هذا إشارة إلى طبيعة السيئة في اعتمادها على عمل ما، ليس خفيا بين العبد وربه كالذنب، بل هو حدث كائن قد يستمر طويلا قبل أن تقع العقوبة.
- دل استخدام لفظ السيئة مفردة ومجموعة على لطف الله بعباده، وقبول المشرك إن تاب وإن كانت سيئاته من الكبائر.

المصادر والمراجع

- الأزهري، محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل**، حقّقه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٩٩٧ م.
- البيضاوي، ناصرالدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، **تفسير البيضاوي**، بيروت: دار الفكر.
- الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**،

تحقيق محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨ هـ.

- جبل، محمد حسن، **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم** (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠ م
- ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد، **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤١٦هـ .
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، **تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٨٧م.
- الحازمي، شرح ألفية ابن مالك، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي http://alhazme.net ، الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس، المكتبة الشاملة الحديثة.
- الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت: المكتبة العصرية، ط٥، ١٩٩٩م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، **أساس البلاغة**، محمود بن عمرو بن أحمد، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل**، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.
- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، **بحر العلوم**، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة: بيروت، ٢٠٠٠ م.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، **معجم الفروق اللغوية**، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي.
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٢ هـ.

- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي نجار، عبدالفتاح إسماعيل شلبي، مصر: دار الكتب المصرية للتأليف والترجمة، ٢٠٠٢م.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **العين**، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، العراق: منشورات وزارة الثقافة، ١٩٨٤م.
- الفيروزابادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٨، ٢٠٠٥ م.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية:القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.
- القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، **لطائف الإشارات**، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٩ م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ.
- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، حقّقه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٩٩٨ م.
- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٥هـ.